المحاضرة الثانية

تطور الفكر اللساني

-عند المصريين القدامئ

في القرن الخامس قبل الميلاد سرد لنا المؤرخ الإغريقي هيرودوتherodotos قصة مثيرة للإعجاب مفادها ان الملك المصري بسامتيشوسpsammetichos حاول معرفة أقدم لغة على هذه الأرض.فما كان من امره إلا ان قرر عزل صبيين عن المجتمع منذ ولادتهما إلى الوقت الي يبدآن فيه الكلا.وكان افتراضه أن يؤدي عدم وجود أي مثال يحتذى به في النطق إلى استعمال أول لغة بشرية في العالم .ومع مرور الزمن سمع الطفلان وهما يرددان كلمة"بيكوس" وعلم الملكوأتباعه إذ ذاك ان هذه الكلمةتنتمي إلى اللغة الفريجية-وهي لغة قديمة كان يتكلم بها الناس في آسيا الوسطى-ومن هنا استخلص الملك أن هذه اللغة هي اللغة الأولى التي عرفتها الإنسانية[1]

السومريون والاكاديون

الشعب السومري شعب مجهول الأصل،-...كان له حضارة زاهرة،ولغة راقية ذات آداب .وأسلوب خاص في الرسم ذي الزو ايا،وعند العبريين باسم رسم الأوتاد

والسومرية لغتهم الآسيوية البائدة التي استعملت في العراق من 4000ق.م حتى 2000 ق م وهي من أوائل اللغات في العالم التي تم تدوينها

الصينيون القدامى

انقسم علماء الصين بشأن نشأة اللغة ؛فمنهم من رأى أنها من صنع الطبيعة،ومنهم من رأى أنها من قبيل الاصطلاح.أما عن العلاقة بين الدال والمدلول فقد قال الفيلسوف الصيني هسون-تسو(238ق م):"إن تسمية الأشياء لا تتم إلا بالموافقة،وبعد ذلك تصبح التسمية عادية ومناسبة،وإن الأسماء لا تحتوي على حقائق صوتية ملازمة لها"

وقد اهتم الصينيون بدراسة الفنولوجيا،والدراسات النحوية اي التركيبية وصناعة المعاجم وغيرها.

الفينيقيون

---

[1] أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ص 01

حيث يعد الفينيقيون أول ن طور الكتابة الأبجدية،كما تعد الكتابة الفينيقية كتابة متطورة بالقياس إلى أشكال الكتابة التي عرفتها اللغات السالفة الذكر، وقد أحدثت ثورة في طريقة الكتابة ،وغيرت المفاهيم القديمة البالية،فهي كتابة صوتية محضة تختلف اختلافا جذريا عن الكتابة الفرعونية والصينية والسومرية،وعلاوة على ذلك فلا يمثل حرفها إلا صوتا واحدا"

أ-عند الهنود

إن اهتمام القدماء باللغة لم ينقطع قط، خاصة المجتمعات التي كان للغاتها علاقة مباشرة بالدين[2]؛ حيث يعود الدرس اللساني الأقدم توثيقاً للهند؛ إذ لعبت العقيدة الدينية دوراً هاماً في التأسيس له حوالي 2500 ق.م حين لاحظ الكهنة أن اللغة التي يستخدمونها في شعائرهم تختلف عن لغة الفيدا Veda[3] (وهي مجموعة من الوحي في أربعة كتب لذوي العقيدة البراهمية)[4] واعتقدوا أن نجاح بعض الطقوس يحتاج لاستخدام اللغة القديمة مما يستلزم إعادة إنتاجها، فقام كاهن يُدعى بانيني Panini قبل ألف سنة من الميلاد بتقنين القواعد النحوية الحاكمة للغة السنسكريتية حتى يمكن استخدامها كلغة طقوس دائمة

ولهذا"فالحضارة الهندية اهتمت اهتماما خاصا بالظاهرة اللغوية،فأعطوا للغتهم أوصافا صوتية ونحوية في منتهى الدقة والسداد"[5]

-عند الإغريق

من العوامل التي أحدثت اهتماما بالغا باللغة كجزء من الحياة الإنسانية هو أن اليونانيين أدركوا وجود لغات بشرية غير لغتهم[6] ، ذلك أن كثيرا من اليونانيين بحارة كانوا أو جنودا أو معمرين أدى بهم الاتصال بغيرهم إلى تعلم بعض اللغات الأجنبية[7]

وقد بدأ الفلاسفة اليونانيون باللسانيات ؛وذلك حين اهتموا بدراسة العلاقة بين الأشياء والأفعال وأسمائها للتعرف على القواعد التي تحكم اللغة وصاغوا مبادئ النحو، واهتموا في القرن الثالث قبل الميلاد بالدرس البلاغي فقسموا مفردات اللغة إلى أسماء متعددة الصيغ، وأفعال تحدث في أزمنة مختلفة، ثم حددوا (أشكالاً للخطاب) ومن أشهر علمائهم بروتاغوراسProtagorasوافلاطون وأرسطو وغيرهم

---

[2] شرف الدين الراجحي :مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية،2003،ص29

[3] أحمد حساني :مباحث في اللسانيات، ديوان المصطبوعات الجامعية، ص2

[4] زبير دراقي :محاضرات في اللسانيات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،ص15

[5] زبير دراقي :محاضرات في اللسانيات التاريخية،ص15

[6] شرف الدين الراجحي :مبادئ اللسانيات الحديث ص29

[7] زبير دراقي :محاضرات في اللسانيات التاريخية،ص16

عند الرومان

تعد أن تكون الحضارة الرومانية الوارث الشرعي من الناحية التاريخية للتراث اللغوي اليوناني[8]؛ حيث التزم الرومان بالقواعد النحوية اليونانية في اللغة اللاتينية إلا أنهم توسعوا في الشروح المميزة للأساليب اللغوية اللاتينية ومجالات استخدامها، وتم تحديد أشكال الخطاب قياساً على بعض النصوص اللغوية كأعمال رجل الدولة والخطيب المعروف شيشرو Marcus Tullius Cicero في القرن الأول الميلادي، و بحلول القرن الرابع الميلادي صاغ اللغوي الروماني آليوس دوناتسAelius Donatus صيغ عامة للنحو اللاتيني، وشرح اللغوي بريسكيان Priscian هذه القواعد بعد مائتي سنة أي في القرن السادس الميلادي، وبقيت على ما هي عليه حتى الآن، واستخدمت كمعايير قياسية للغات الأوروبية الأخرى حتى القرن السادس عشر الميلادي تقريباً، وبقيت كتبها مراجع للغات الأوروبية التي ظهرت بعدها، وظلت اللاتينية الأكثر انتشاراً حتى شهدت نهاية القرن السابع عشر وبدايات الثامن عشر مع تحول اللغتين الإنجليزية والفرنسية إلى لغات عالمية احتلت موقع اللاتينية، وساعد على ذلك اختراع الطباعة الذي جعل نصوص هاتين اللغتين المطبوعة متوفرة بشكل كبير، ونشأ علم الصوتيات Phonetics الذي دفع علماء اللغويات للمقارنة بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية، وأدى إلى نشوء الدراسات اللغوية الهند أوروبية

ويعد varroأول كاتب لاتيني اهتم بالموضوعات اللغوية وشرحت أراؤه اللغوية في عشرين مجلدا، عالج فيها عدة قضايا لغوية كمشكلة لتشبيه أو القياس تحليله ووصفه للغة اللاتينية، وتقسيمه الثلاثي للدراسات اللغوية "[9]

العصور الوسطى

أصبح للغة اللاتينية دور هام في التعليم خلال القرون الوسطى، فلم تكن لغة الكتابة فقط، وإنما اللغة المستعملة في السياسة والمعرفة والثقافة، فمعرفتها ظلت أمرا ضروريا بعد أن صارت لغة أجنبية لدى كثير من الشعوب[10]

كما تعد هذه الفترة العصر الذهبي لعلماء اللغة العرب[11]، حيث ركزت دراساتهم على القرآن الكريم، مما أدى إلى ظهور علم التفسير إضافة إلى ذلك ما ميز النشاط اللغوي العربي في ذلك الوقت ظهور الفيلولوجيا المختلفة في العالم العربي[12]

---

[8] أحمد حساني :مباحث في اللسانيات ص3

[9] شرف الدين الراجحي :مبادئ اللسانيات الحديث ص32

[10] زبير دراقي :محاضرات في اللسانيات التاريخية ص17

كما بلغت الدراسات النحوية ذروتها عندما ظهر سيبويه البصري بكتابه المشهور "الكتاب"، وهو من وضع أسس قواعد اللغة العربية الفصحى، واعتمد في ذلك على ما قدمه من سبقوه، كما حدد أقسام الكلام :الاسم، الفعل والحرف، وكذلك إسهاماته الواسعة في علم الأصوات بأن قدم وصفا صوتيا للحروف العربية، وغيرها من الإسهامات التي أنجزها العرب في هذا الميدان من علم اللسانيات[13]

عصر النهضة:

اتسم القرن السادس عشر بالازدهار الثقافي الناتج عن عوامل مختلفة منها انتشار الطباعة) بعد ظهورها سنة 1440 على يد" غوتنبرغ("، وذيوع التراث القديم في إيطاليا، ضف إلى ذلك أن التحمس الديني فرض على الإصلاحيين ترجمة الكتب المقدسة إلى مختلف اللغات[14]

ومن مظاهر تطور الدراسات اللسانية في القرنين السادس والسابع عشر البدء المنتظم بوصف اللغة وصفا صوتيا أوفونيتيكيا

ومع بداية القرن الثامن عشر تغير مسار اللسانيات، ومصدر هذا التغير هو الاكتشاف الكامل للغة الهندية القديمة السنسكريتية، وكان هذا الاكتشاف حدثا هاما في مجال البحث اللغوي للتشابه الموجود بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية الأخرى، وقد ساعد هذا الاكتشاف على معرفة ما ألف العقل الإنساني في اللغة والنحو والأصوات من خلال كتاب اللغوي الهندي" بانيني) "الفيدا"[15]

العصر الحديث

مع نهاية القرن الثامن عشر أسس السير ويليام جونز William Jones علم اللسانيات اللسانيات المقارنة== COMPARATIVE LINGUISTICS لدراسة وتحليل النصوص المكتوبة في لغات مختلفة لكنها ذات صلة، وأشار إلى وجود علاقة بين كل من اللغة اللاتينية، واليونانية، والسنسكريتية توحي بنشوئها من مصدر واحد نتيجة ما لاحظه من تشابه معاني (أصوات متشابهة) في اللغات الثلاث فعلى سبيل المثال كلمة frater اللاتينية،

---

[11] سنخصص مبحثا بجهود العلماء العرب في الدرس الموالي في الصفحات المقبلة

[12] شرف الدين الراجحي :مبادئ علم اللسانيات الحديث،ص34

[13] شرف الدين الراجحي :مبادئ علم اللسانيات التاريخية ص35

[14] زبير دراقي :محاضرات في اللسانيات التاريخية،ص23

[15] أحمد حساني :مباحث في اللسانيات ص4

وكلمة phrater اليونانية، وكلمة bhratar في اللغة السنسكريتية تعني كلها (أخ) مما دفع بعض علماء اللسانيات لدراسة العلاقة بين اللغات المختلفة، والتفاعلات الناشئة عن حوار متحدثين من خلفيات ثقافية مختلفة، ومساعدة الراغبين في تعلم لغات غير لغتهم الأصلية بعدما

واهتمت اللسانيات بدراسة كيفية تشكل كلمات اللغات المختلفة لتكوين معاني متشابهة، ومقارنة هذه اللغات وأطلق على عناصر تشابه اللغات مصطلح صلة القرابة genetic relationships وكون اللسانيون عائلات لغوية صاغوها على شكل (شجرة عائلة) لكل مجموعة من اللغات ذات المنشأ الواحد .

كما شهد القرن الثامن عشر تغيرات فكرية وعقلية هائلة، ففي علم اللغة أنجز الكثير من علماء هذا القرن ما يعتبر الأسس الحديثة له، ومنهم" جريمGrimm و"ويتني Whitny و"ماكس مولر Max Muller و"سويتSweet وغيرهم من علماء اللغة الذين كان لهم الفضل في تشكيل فروع تخصصهم في علم اللغة وتوسيع إطارها[16]

وفي القرن العشرين إن الفرق الرئيسي الواضح بين القرنين الثامن والتاسع عشر يتركز في ازدياد نمو اللسانيات الوصفية، إذا ما قورنت باللسانيات التاريخية وبلوغها مركز السيادة[17]

وقد أخذ البحث اللغوي طابعا علميا على يد اللغوي السويسري" فردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure" الذي لقب ب" أبي اللسانيات الحديثة."

اريـخـها: ترجع بداية ظهورها علما مستقلا إلى القرن التاسع عشر، مع محاضرات ف.د.سوسير، وأسهمت في ذلك ثلاثة أسباب:

أ- إكتشاف اللغة السنسكريتية : وقد تم ذلك بوضوح مع وليام جونز (1794ت) عام 1786 م، الذي كان قاضيا في كالكتا (في آسيا). ثم مع شليجل (F.schlegel) في كتابه (حول لغة الهنود وحكمتهم عام 1808، ثم الأب بارتلمي (Barthélemy) وكان مبشرا في الهند، في كتابه (قواعد السنسكريتية). ثم توالت المؤلفات في انجلترا بعد ذلك، إلى أن صارت باريس قطب المدرسة السنسكريتية بهجرة اللسانين إليها.

---

[16] شرف الدين الراجحي :مبادئ علم اللسانيات الحديث ص39

[17] شرف الدين الراجحي :مبادئ علم اللسانيات الحديث ص44

ب- ظهور القواعد المقارنة: شاع في تلك الفترة أسلوب المقارنة بين اللغات ونُظُمها، ومنها كتاب Boopp (1867ت) عام 1816 (في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية).

ونشير إلى أن أسلوب المقارنة الشائع آنذاك، كان مقتصرا على العلوم الطبيعية وعلم التشريح.

جـ- نشأة علم اللغة التاريخي :الذي يعنى بمعرفة جميع التطورات اللغوية في لغة ما، من خلال مجموع تاريخها. وقد ظهر نتيجة للقواعد المقارنة .

4- منهجها : تعتمد على ثلاثة معايير أساسية :

- الشمول : دراسة كل ما يتعلق بالظاهرة اللسانية دون نقص أو تقصير.
- الانسجام : انعدام وجود أي تناقض في الدراسة الكلية.
- الاقتصاد : تتم الدراسة بأسلوب موجز ومركز مع تحليل دقيق .

5- أقسام اللسانيات العامة: تتعدد أقسامها اليوم بحسب اختصاصاتها واهتماماتها، فبرزت: اللسانيات التعليمية، النفسية، الاجتماعية، الرياضية، الحاسوبية، التداولية،...الخ، وهناك تقسيم آخر بالنظر إلى منهجها، يشمل:

- اللسانيات التاريخية: هي دراسة تطور اللغات عبر الأزمنة، وأسباب حدوث التغيرات وكيفياتها.
- اللسانيات المقارنة: مقارنة لغتين أو أكثر للتوصل إلى العلاقة بينهما وبيان الأصل من الفرع.
- اللسانيات الوصفية: هي أهم قسم فيها، وتختص بدراسة وظيفة اللغة واستعمالها من طرف مجموعة من المتكلمين.